مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(9)، العدد (1)، (جوان 2024)، ص 183-197
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

# المقاومة الثقافية للنخبة الجزائرية مطلع القرن 20 " أبو القاسم الحفناوي أنموذجا 1850- 1942م"

# The cultural resistance of the Algerian elite at the beginning of the 20th century" Abu al-Qasim al-Hafnawi as a model 1850-1942 AD"

عمر بلعربي* [1]

1جامعة باتنة 1 (الجزائر)، belarbi.omar83@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/07/30 تاريخ القبول:..../../..20

**ملخص:**

شهدت الجزائر نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 نهضة تمثلت في النشاط الاجتماعي والثقافي والفكري قاده جيل من العلماء المصلحين، الذين دأبوا على الاهتمام بالتراث الجزائري القديم وإعادة بعثه مساهمة منهم في الحركية الثقافية والحضارية الإنسانية في تلك الفترة، ولعل أبي القاسم الحفناوي أحد روادها، والذي عمل جاهدا على إحياء وبعث التراث الجزائري القديم وهذا من خلال كتاباته المتنوعة في الفكر والثقافة، وتمثل جهده في تحفته الموسومة " تعريف الخلف برجال السلف "، وهو كتاب يحمل مقاربة هامة أرخت لأعلام الجزائر من علمائها وفقهائها ومثقفيها والتعريف بهم وبمناقبهم في فترة سابقة خلال التواجد العثماني وبعده.

**كلمات مفتاحية:** الجزائر ؛ الأعلام ؛ التراث الجزائري ؛ الحركية الثقافية ؛ الكتابات المتنوعة.

**Abstract :**

Algeria witnessed the end of the 19th century and the beginning of the 20th century a renaissance represented in the social, cultural and intellectual activity led by a generation of reforming scholars, who have always cared about the ancient Algerian heritage and revived it as a contribution to the cultural and human civilization movement in that period, and perhaps Abi Al-Qasim Al-Hafnawi is one of its pioneers, who worked Struggling to revive and resurrect the ancient Algerian heritage through his various writings on thought and culture.

**Keywords:** Algeria; media; Algerian heritage; cultural mobility; Miscellaneous writings.

* المؤلف المرسل.

**1-مقدمة**

قامت السياسة الاستعمارية في الجزائر على مبادئ الهدم والتدمير المنهجي والمنظم لكل مكتسبات المجتمع الجزائري التقليدي في الميادين الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، واستحالت الشعارات الاستعمارية عند تطبيقها على أرض الواقع إلى نقائض مطلقة التسميات التي عرفت بها، فكانت التهدئة تعني الابادة والأرض المحروقة والتهجير والنفي ومصادرة الأراضي، وكانت المهمة الحضارية في الجزائر مرادفة للتنصير والمسخ والفرنسة القصرية والعلمنة.

ولما كان التحصيل الثقافي بمثابة أحد الشروط الأساسية في حدوث أي ارتقاء اجتماعي في أي أمة أو مجتمع كان، فإن الوضعية الثقافية التي أحدثها الواقع الاستعماري منعت كل الشرائح الاجتماعية من تحقيق قفزة تتجاوز حدود السياج المفروض على الشعب الجزائري، ومع ذلك نجد أن هذا الأخير قد اخذ على عاتقه مهمة تثقيف نفسه بنفسه من خلال إحداثه لمؤسسات تعليمية وبفضل جهود علمائه.

وتكمن أهمية الموضوع في تسليط الضوء الاهتمام بدراسة الأعلام والشخصيات وتتبع جهودهم لأن لهم أهمية كبرى في الحفاظ على الرصيد النضالي لنصرة الحق ورد الظلم، بل ويصل إلى حد الافتخار بهؤلاء وجعلهم قدوة تقتدي بهم باقي فئات المجتمع.

أما أهداف الدراسة فتكمن في إبراز وإظهار فئة حتى وإن كانت قليلة العدد وصلت إلى مستويات عالمية من التكوين الثقافي، وساهمت بمجهوداتها الفردية في بعث اليقظة الثقافية في الجزائر عن طريق التدريس في المساجد والمدارس والتأليف.

وبالنسبة للإشكالية المطروحة على الرغم من الوضع الثقافي المتدهور الذي عرفته الجزائر أواخر القرن 19م هل كان الحفناوي من المساهمين بإنتاجه الفكري والعلمي في النهضة الثقافية التي بدأت تعرفها الجزائر مطلع القرن 20؟ أما التساؤلات يمكن طرح ما يلي:

من هو الحفناوي؟ وما هي مسيرته العلمية؟ وما هي المكانة العلمية التي نالها؟ وما هي أبرز كتاباته العلمية؟

ونظرا لطبيعة الموضوع ونوعية المعلومات المتوفرة اعتمدت في ورقتي البحثية على المنهج التاريخي الوصفي الذي يبرز تتابع الأحداث والمنهج التاريخي التحليلي وذلك بتحليل الأحداث والوقائع التاريخية.

**2-حياة الحفناوي:**

**2-1 نسبه**

هو أبو القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي المعروف بابن عروس بن الصغير بن محمد المبارك بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن مرزوق بن سيدي إبراهيم الغول دفين

بوسعادة ابن سيدي إبراهيم السلامي دفين الأميرالية بالجزائر العاصمة، وفي هذا المقال قال الحفناوي:" تواتر أن سيدي إبراهيم الغول تركه أبوه في بطن أمه، وأوصاها بتسميته باسمه إن لم يرجع إليها قبل سنة، وسافر يريد حج بيت الله الحرام وزيارة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولما وصل إلى الجزائر ذاهبا أوأيبا استشهد في مرساها وأقبر في موضعه" (الحفناوي، 1906، صفحة 19).

أما عن امتداد نسب سيدي إبراهيم الغول فحسب ما دون في نقابة الأشراف بمصدر وما ورد في كتاب بحور الأنساب المحيط للشيخ حسين محمد الرفاعي، فإن نسب سيدي إبراهيم الغول هو: سيدي إبراهيم الغول ابن إبراهيم السلامي بن أحمد بن مسعود بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن موسى بن عيسى بن محمد بن يحيى بن موسى بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد بن الحسن المثنى بن حسن السبط بن سيدنا ومولانا الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ووالدة سيدي إبراهيم الغول هي مريم ضيف بن يحيى بن سليمان بن ربيعة وبن عبد الرحمان بن السيد عبد الله بن السيد أبو زيد الإدريسي الحسني. (الديس، 2013، صفحة 13)

وقد قال القطب سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة عن سيدي إبراهيم الغول بأنه سمي بالغول لأنه تغول في الولاية، ووصفه بحر الحقيقية سيدي الحاج عيسى الأغواطي بمخ الشرفاء في قصيدة قالها عند ضريحه يستغيث به لما أهمله أهل بوسعادة ولم يكرموا مثواه، ويذكر الحفناوي أن سيدي إبراهيم الغول قد سئل عند موته عن شرفه الأبوي فأجاب بأن الشريف يظهر غدا في الآخرة وهو ما يبين زهده في الشرف وعدم التفاخر به، وانتقل بعد ذلك إلى بنيه فزهدوا هم أيضا بنسبهم وفي هذا يقول الحفناوي:" ولهذا تجد بنيه لا يعتمدون على الشرف، فلا ينحدرون في ما انحدر فيه غيرهم من الخصال المنافية له" (الحفناوي، 1906، صفحة 19).

وبذلك يصبح نسب الحفناوي نسب شريف آل البيت غير أنه الحفناوي ذكر نصا آخر عن امتداد نسبه وذلك عندما ترجم لسيدي إبراهيم الغول، حيث قال:" ... ولما استقر ( أي سيدي إبراهيم السلامي) زوجه سيدي سليمان بن ربيعة منهم، وحملت منه زوجته وذهب إلى الحج كما تقدم ولما وضعت حملها سمته باسمه إبراهيم السلامي نسبة إلى دار السلام مقام سلطان الصالحين سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا ببركته، وكان واليا عليها ومنها جاء أبوه في البحر عن طريق أزمير مع سيدي محمود بوفالة "دفين المسيلة " قيل وسيدي والي دادة دفين الجزائر والثلاثة أتراك" (الحفناوي، 1906، صفحة 20).

ما جاء في هذا النص أن سيدي إبراهيم الغول قد سمي باسم والده سيدي إبراهيم السلامي الذي سمي بالسلامي نسبة إلى الدار التي جاء منها وهي دار السلام " بغداد " ومن الممكن أن يكون أصله منها.

وذكر أيضا في النص أن سيدي إبراهيم السلامي كان في دار السلام وجاء للجزائر عن طريق البحر ومر في رحلته هذه بأزمير، ومروره بأزمير لا يعني بالضرورة أنه منها، لكن في نهاية هذا النص يقول أن سيدي إبراهيم السلامي والشخصين اللذين جاءا معه هم في ثلاثتهم أتراك وهذا يعني أن نسب الحفناوي يمتد للأصل التركي، كما ذكر الحفناوي في بداية هذه الرواية كلمة " تواتر أن " يعني أن نقلها عن طريق الرواية الشفوية القابلة للنقص والزيادة مع مرور الوقت.

وتبقى هذه الرواية ضعيفة خاصة في ظل غياب الإثباتات التي تؤكد صحتها.

ومع ذلك لا يمكننا الجزم بأن نسب الحفناوي نسب شريف كما لا يمكننا النفي المطلق بأنه ليس من أصل تركي فمسألة البحث عن الأنساب مسألة معقدة وصعبة وتحتاج من التنقيب الدقيق والصبر الشيء الكثير.

**2-2 مولده ونشأته**

ولد الحفناوي سنة 1267هـ/ 1850م بينما نجد في باقي المراجع أنه ولد سنة 1269هـ / 1852م (نويهض، 1983، صفحة 121 – بن قينة، 2012، ص 127- شرقي، 2009، ص 609)، وقد ولد بقرية الديس التي تبعد عن مدينة بوسعادة بحوالي 12 كلم والده هو الشيخ أبي القاسم الديسي " ابن عروس" كما سبق وذكرنا وأمه هي السيدة خديجة بنت الشيخ محمد المازري الديسي وهو من علماء المنطقة، والحفناوي هو رابع إخوته الذكور (السيد المدني وعبد القادر وأحمد)، بإضافة أخواته السبعة.

نشأ الحفناوي في حجر والديه وحفظ القرآن الكريم ووعاه عن ظهر قلب وكان والده ابن عروس من العلماء في اللغة والأدب والفقه والتوحيد، وذكر الحفناوي على لسان والده أن أجداده كلهم يحفظون القرآن الكريم ويعرفون من الفقه مالا بد منه كما لهم خطوط جيدة موجودة بهوامش كتب الفقه المتوارثة في قرية الديس (الحفناوي، 1906، صفحة 179).

إن البيئة التي نشأ فيها الحفناوي هي بيئة متعلمة فمعظم أقاربه يولون اهتماما بالعلم ويسعون لطلبه وظهر منهم العلماء والفقهاء وشيوخ الزوايا، وهو ما سيؤثر على الحفناوي في بناء شخصيته العلمية فقرية الديس التي كان لها حتما تأثير على الحفناوي في بناء شخصيته العلمية وقد أنجبت العديد من العلماء في الفقه والتوحيد واللغة... فنشأ الحفناوي محتكا بجوها العلمي هذا بالإضافة إلى قربها من زاوية الهامل وزاوية طولقة ببسكرة الرائدتين في التعليم وتحفيظ القرآن الكريم.

أنجب الحفناوي ولدا واحدا هو عبد الرحمان ومن الإناث أربعة (حورية، فاطمة، نفيسة، خديجة)، وكلهم من زوجته الأولى السيدة قوراية والتي قيل أنها تركية أو كرغلية ويبدو أن عبد الرحمن ابن الحفناوي قد توفي في حياة والده، كما تزوج الحفناوي مرة ثانية بالسيدة رحمة وهي من الديس وكان ذلك بعد وفاة زوجته الأولى بسنوات وبعدما كبر وألم به المرض فكانت له نعم السند والمعين ولذلك ترك لها كل ما يملك بعد وفاته.

تمتع الحفناوي بقوة البنية وقيل بأنه كان أبيض البشرة ريان المفاضل جميل الشيبة من أجمل الناس صورة، وأنقاهم شكلا وأحسنهم هيئة وما رؤى يوما متحدثا أو غضبانا فكان لا يعرف للغضب ولا للعتاب أو التعنيف لفظا أو معنى (الجيلالي، 1993، صفحة 435).

**3-3 تعلمه:**

بدأ الجفناوي مسيرته العلمية على يد والده فاخذ عنه مبادئ العلوم في النحو والصرف والعروض والفقه والتوحيد والمنطق والحساب والبلاغة، بعدما استأذن والده للالتحاق بزاوية طولقة ببسكرة، واتصل بشيخها الحفناوي بن الشيخ بن علي بن عمرو تلميذ الشيخ بن عروس والد الحفناوي، فأخذ عنه وعن الشيخ مصطفى بن عبد القادر العلوم الشرعية والأدب ومكث في هذه الزاوية أربع سنوات، بعدها انتقل الحفناوي إلى زاوية ابن أبي داود بتاسلنت بآقبو " في بلاد الزواوة" أخذ فيها علوم القرآن الكريم والفقه والفلك ومكث فيها ثلاث سنوات (الجيلالي، 1993، صفحة 426)، وفي ذلك يقول الحفناوي:" كنت أقرأ القرآن في الزاوية صاعدا مبتدئا وأنا صغير، وذلك سنة وفاة سيدي محمد مزيان الأول وهي سنة 1283هـ / 1866م.

ويذكر بعض المؤرخين أن الحفناوي بالتزامن مع دراسته في زاوية ابن أبي داود كان يدرس في زاوية شلاطة، غير أن الحفناوي لم يذكر ذلك في كتابه " تعريف الخلف" عندما ترجم لمحمد بن علي الشريف الزواوي شيخ زاوية شلاطة، فعندما ترجم لمحمد الطيب ابن أبي داود زواوي ذكر أنه درس في زاوية أن أبي داود، وفي ترجمته لوالده بن عروس الذي درس بزاوية شلاطة لم يذكر الحفناوي كذلك أنه درس بها، كما أن تلميذه عبد الرحمن الجيلالي لا يذكر ذلك أيضا، ولكن لا نستبعد أن يكون الحفناوي قد تعلم في زاوية شلاطة بالتزامن مع دراسته في زاوية ابن أبي داود فالحفناوي عرف بحبه للعلم وسعيه لطلبه هذا بالإضافة إلى زاويتين متجاورتين وفيهما قال الحفناوي:" وهي زاوية شلاطة مقصودة لقراءة كتاب الله عز وجل يأتونها من كل فج عميق، كما أن طلاب الفقه يقصدون زاوية ابن أبي داود في تاسلنت، والذي في عملي أن لم يقرأ في شلاطة ولم يتعلم الفقه في تاسلنت ولو قرأ وتعلم في غيرهما يعتبر عند المحبين ناقص السر" (الحفناوي، 1906، 534).

بعد ذلك التحق الحفناوي بزاوية الهامل، وتتلمذ على يد مؤسسها محمد بن أبي القاسم الهاملي، وأخذ فيها التفسير بالحديث الشريف، ومكث بها سنتين (الحفناوي، 1906، صفحة 535)، وقيل أن الحفناوي قبل التحاقه بزاوية الهامل التحق بزاوية نفطة بتونس وتعلم فيها إلا أنه يبقى مجرد احتمال فقط، وحتى الحفناوي لم يذكر ذلك، ونجده يذكر اللقاء الذي وقع بينه وبين المكي بن عزوز شيخ زاوية نفطة وكان ذلك سنة 1876، عندما زار المكي بن عزوز جده ابن عروس والد الحفناوي والشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي فلو كان الحفناوي درس بزاوية نفطة لذكر ذلك خاصة وأن كتابه " تعريف الخلف " ألف عام 1906 أي بعدما أكمل تدريسه بالزاوية، وبعدها أكمل الحفناوي تعلمه بزاوية الهامل ثم رجع إلى مسقط رأسه، وهناك عكف على المطالعة والبحث مع تحقيق المسائل وتصحيحها على والده الشيخ محمد الصديق الديسي (الجيلالي، 1993، صفحة 426).

أما بخصوص إجازاته العلمية فلم نصل إلى أي إجازة من إجازاته سوى إجازة الحفناوي لتلميذه أبو القاسم عبد الرحمن حيث ذكر فيها بعضا من شيوخه الذين أجازوه فيما أخذ عنهم من علم، وكذلك ما ذكره عبد الرحمن الجيلالي بأن الشيوخ الذين أخذ عنهم الحفناوي أجازه بإجازة تشهد له بالتحصيل مع الإذن له بالتعليم (الجيلالي، 1993، صفحة 426).

ونظرا لشغف الحفناوي وطموحه في طلب العلم توجه هذه المرة للجزائر العاصمة وكان السبب وراء ذلك حسب ما ذكره لتلميذه الجيلالي حيث قال:" إنني لما كنت بقريتنا الديس شغوفا بمطالعة الكتب وأختار منها ما تميل إليه نفسي ويشتهيه خاطري، وكان فيما طالعته هناك وختمته مرارا كتابان جليلان وهما كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، والثاني هو مقدمة بن خلدون، فأعجبت بهما معا غاية الإعجاب وملك علي حواسي فاشتدت رغبتي في تحصيل العلم وتاقت نفسي إلى البحث عمن يحسن من العلماء ما احتوى عليه هذان الكتابان من معارف، فقلت إذن ذلك لا يوجد إلا في العواصم فهذا ما دفعني إلى شد الرحل إلى مدينة الجزائر باحثا عن عالم بصير بما هناك..." (الجيلالي، 1993، صفحة 427).

العاصمة سنة 1883م ليبدأ رحلة جديدة في طلب العلم فتعرف على فئة من العلماء كالشيخ " محمد القزادري " والشيخ " حسن البريهمات" وأخذ عنهم، وإلى جانب ذلك تعلم اللغة الفرنسية على يد المستشرق آرنو، وهو ما أضاف إلى رصيده المعرفي الكثير ثم سافر مرات عديدة إلى فرنسا وتمكن من خلالها القيام بأبحاث سواء اقتبسها أو ترجمها عن الكتب الفرنسية خاصة في الفلك والكيمياء، فتوسعت ثقافته وتعددت مشاربها.

أحب الحفناوي العلوم العصرية والمخترعات الحديثة فكان يشتري الآلات القديمة ويفككها ثم يحاول إعادة تركيبها كل ذلك حبا في الإطلاع والمعرفة كما كان أول من امتلك آلة الفوتوغراف " الجهاز الحاكي " من بين المسلمين في العاصمة (الجيلالي، 1993، صفحة 427)

**4-3 شيوخه:**

**الشيخ محمد أبو القاسم الديسي " بن عروس " (ت 1893):** وهو والد الحفناوي أخذ الفقه عن الشيخ عبد الباقي الجيلالي، وقرأ القرآن الكريم وحفظه عند الشيخ علي بن عمر صاحب زاوية طولقة، ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داود في تاسلنت حيث درس الفقه والعربية كما حل بزاوية شلاطة ودرس بها، بعد ذلك رجع الشيخ بن عروس إلى زاوية طولقة بطلب من شيخها لتدريس أولاده غير أنه وجده قد مات فقابله ابنه الشيخ علي بن عثمان الذي قال له بأن والده يأمره بتعليم ابنه الحفناوي بن علي بن عمر فواظب الشيخ بن عروس على تعليم الولد ومن معه من طلبة الزاوية الذين كانوا يبلغون حوالي 50 طالبا، ومن ورائهم جم غفير من المستمعين الذين قدموا من تلك القبائل التلية والصحراوية من قسنطينة إلى سوف، ومن نفطة إلى الأغواط، عاد بعد ذلك إلى قرية الديس وقصد ولزم بيته وقل سفره وكثر ولده فتفرغ لنسخ بعض الكتب ومطالعتها وتعليم أولاده"" (الحفناوي، 1906، صفحة 182- عبد المجيد، بن معمر، الحمدي، 2007، صفحة 288-289).

**الشيخ الحفناوي بن علي بن عمر:** شيخ زاوية طولقة ببسكرة وهو أحد تلاميذه الشيخ بن عروس كما ذكرنا سابق تتلمذ على يده الحفناوي مترجما أيام دراسته بزاوية طولقة.

**الشيخ محمد الطيب بن داود (1832-1892):** وهو شيخ زاوية بن أبي داود ببلاد الزواوة وقد ازدهرت في عهده هذه الزاوية (سعد الله، 1998، صفحة 194).

**محمد الصديق الديسي (1826- 1888):** وهو محمد بن أحمد بن سليمان بن أبي العدل... ابن رحمون بن بلقاسم بن محمد بن إبراهيم الغول، الديسي منشأ ودارا ووفاة، أخذ الفقه عن أحمد بن أبي داود ولازم الشيخ المازري بن يطو بن أبي القاسم ( جد الحفناوي لأمه ) وأخذ عنه الحديث والفقه والتفسير، ولما كبر المازري وعجز تولى محمد الصديق مكانه كإمام لجامع قرية الديس، وقد حرر العلوم العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، وقال عنه الحفناوي:" كان له ذهن وقادة وقريحة في طلب العلم لم تكن لأبناء عصره في بلده" (الحناوي، 1906، صفحة 525-525).

**محمد بن أبي القاسم الهاملي (ت 1897):** مؤسس زاوية الهامل ومعهدها وفي ذلك يقول الحفناوي:" وفي سنة خمس وستين ومائتين وألف (1265هـ)، ابتدأ التدريس ببلدة الهامل فأصبحت به زاهرة يانعة وانهالت له الخلق من كل جهة لطلب العلم، وحصل به النفع الكثير وكان يحضر درسه في الفقه نحو ثمانين تلميذا أو أكثر..." (الحفناوي، 1906، صفحة 525) ، وتتلمذ على يده

الحفناوي لمدة سنتين ويبدو أنه كان شديد التأثر به ومدحه مدحا شديدا، حتى أنه وصفه بصاحب الكرامات الخارقة، كان محمد بن أبي القاسم الهاملي قليل التأليف لانشغاله بالتعليم والتربية فترك بعض المؤلفات منها ما ذكره الحفناوي في ترجمته منظومته الأسمائية التي شرحها الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي في كتاب سماه " فوز الغانم ".

**محمد بن عبد الرحمن الديسي (1854- 1921):** حفظ القرن الكريم وأتقن القراءات السبع وفن التجويد، وحفظ من المتون في العلوم مالا يستطيعه سواه، كان سريع الحفظ قوي الذاكرة وإذا حفظ لا ينسى، درس بمسقط رأسه الديس ثم بزاوية ابن أبي داود، ثم بزاوية الهامل ثم تولى التدريس في معهدها، وله مؤلفات كثيرة منها الزهرة المقتطفة،القوة المرتشفة، المناظرة بين العلم والجهل (بن قينة، 1977، صفحة 13- نويهض، 1983، صفحة 142- 143- دبوز، ج1، 2013، صفحة 66).

أتم الحفناوي حفظ القرآن الكريم على يد محمد بن عبد الرحمن الديسي وقال عنه:" كان يحب الخمول ويكره المحمدة والظهور، لين الجانب صبورا غيورا على الدين، صاحب حزم واجتهاد منذ خلق ما نطق بفحش ولا ضبطنا عنه ساعة وهو غافل عن دينه... جيد النظم سهل العبارة في التعليم والتأليف، ذكي الفهم غواص في المعاني الدقيقة..." (الحفناوي، 1906، صفحة 400)، وكانت بينهما علاقة قوية تظهر من خلال المراسلات التي جرت بينهما والتي كان الديسي يخاطب فيها الحفناوي بولدنا رغم أنه يصغر الحفناوي بسنتين.

**المكي بن عزوز (1854 - 1915):** هو الشيخ المكي بن عزوز بن مصطفى بن محمد بن عزوز، أخذ العلم عن والده وعن شيوخ زاوية نفطة ثم انتقل إلى جامع الزيتونة، فدرس به وأجازوه ويذكر عبد الحي الكتاني وهو أحد أصدقاء المكي بن عزوز أن عدد الشيوخ الذين أخذ عنهم المكي وأجازوه قد قارب 80 شيخا، هاجر للأستانة واستقر بها وترك العديد من المؤلفات منها قواعد الإسلام، الجوهر المرتب في الربع المجيب في الفلك الفتوحات الربانية... وأخذ عنه الحفناوي علم الربع المجيب وغيرها من العلوم عند زيارته للديس سنة 1876.

**الشيخ حسن بن بريهمات (1821- 1874):** هو حسن إبراهيم بن الحاج حسين الملقب بريهمات كان من أبرز الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية في الجزائر الحديثة جمع إلى تضلعه في العلوم الشرعية والآداب العربية مكانة أساسية متميزة (الجيلالي، 1993، ج4، ضفحة 259)، ومن المناصب التي تولاها القضاء في البليدة عام 1853م، ثم عين مديرا لمدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية عام 1855م، وفيه قال الحفناوي:" كان رحمه الله لطيف الطبع سليم الذوق جميل الصورة فاخر الهيأة عذب المنطق متواضعا للمتصاغرين متطاولا على المتكبرين، محسنا للفقراء محبا للعلماء... له خبرة بمجريات الأحوال وعلم عجيب بالتاريخ وطبقات الأدباء... الرجل الوحيد

الذي يمثل لك في الجزائر أديبها المترف وعالمها الحكيم، وموظفها الصالح وكريمها البشوش" (الحفناوي، 1906، صفحة 113).

**الشيخ أحميدة بن محمد العمالي (1813- 1873):** تولى القضاء ما بين " 1849 – 1865 "، ثم الإفتاء بعد وفاة الشيخ مصطفى القديري، درّس بالجامع الكبير وكان ملما بعدة علوم إلى الحديث والفقه والتوحيد والأدب والبلاغة تعلم منه الحفناوي الأجرومية.

**آرنو:** هو أحد المستشرقين كان مدير لجريدة المبشر ورئيس المترجمين بالإدارة الاستعمارية وعنه تعلم الحفناوي اللغة الفرنسية وبعض العلوم الحديثة وفيه يقول:" هو شيخي في العلوم العصرية ومعلمي في فهم اللغة الفرنسوية ومساعدي على طلبها، نلت منه معارف كثيرة..." (الحفناوي، 1906، صفحة 113)، هذا بالإضافة إلى عدة شيوخ آخرين كابن الحفاف والشيخ محمد القزادري كالمسعود بن حماني، ومحمد بن الصالح والشلالي ابن سيدي، وعمه أحمد بن عروس والتومي بن عبد الباقي، وخاله أحمد وخاله عبد القادر وأبناء الشيخ المازري، ومحمد ابن عبد الرحمن.

رأينا أن حياة الحفناوي ومن خلال مسيرته العلمية نرى أنه قد نشأ في بيئة متعلمة ومثقفة فقد أحب العلم وسخر حياته كلها في طلبه، كما كان حريصا على أخذ العلم من منابعه فتتلمذ على يد نخبة من خيرة العلماء في ذلك الوقت وفي أكبر الزوايا والتي كانت جميعها رحمانية وتخرج منها وهو في العشرينيات من عمره، فتثقف ثقافة واسعة وألم ببعض العلوم الدينية.

ولكن شغفه وطموحه أدى به إلى السفر نحو الجزائر العاصمة فكانت تجربة جديدة بالنسبة له خاصة وأنه ابن الريف، فتعلم اللغة الفرنسية وبعض العلوم الحديثة، هذا التنوع في التعليم هو ما ميز الحفناوي فقد جمع بين التعليم الديني التقليدي في الزوايا والتعليم الحديث عند الفرنسيين، مما ساعد على صقل شخصيته العلمية وأفكاره وفتحت آفاق جديدة أمامه.

**1-5 وفاته:**

أصيب الحفناوي بمرض الشلل في آخر حياته وتوفي يوم 08 جانفي 1942 بمسقط رأسه، عن عمر ناهز التسعين سنة ودفن بمقبرة الديس الظهراوية إلى جانب والده وإخوته، وقد أوصى قبل وفاته حسب قول أخيه السيد بلقاسم البشير بأن لا يبني على قبره شيء، فضار قبره لا يعرف ومع انعقاد ندوة حول الحفناوي في الديس ما بين 4 – 5 جويلية 2006، أقيمت شواهد على قبره وقبر والده وإخوته (سعد الله، 2009، ج2، صفحة 580).

**3- كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " مظهر من مظاهر المقاومة الثقافية للشيخ الحفناوي بدايات القرن العشرين:**

**1-3 أبي القاسم الحفناوي وفكرة تأليف الكتاب:**

يمكن القول أن الكتابة التاريخية بدايات القرن العشرين مثلت وسيلة من وسائل كفاح النخبة المثقفة ضد إرادة التشويه التي اعتمدتها الإدارة الفرنسية، حيث حاول أمثال الشيخ

الحفناوي ومعاصريه من العلماء الحفاظ على تاريخ وتراث الأمة الجزائرية، وصيانة هويتها الإسلامية.

لقد برز نشاط أبي القاسم الحفناوي كمؤلفا بارزا من خلال كتابه " تعريف الخلف برجال السلف "، ثم إن الشيخ الحفناوي اهتم بالتراث وكتب الطبقات منذ كان طالبا، ويقول في هذا الشأن أبو القاسم سعد الله:" ... ثم أخذ منها وهو موظف سواء لنفسه كمحرر في جريدة المبشر، أو للمستعربين الفرنسيين الذي كان يساعدهم على فهم التراث العربي الإسلامي والترجمة منه ما تقتضيه المصالح الفرنسية وتأكد احتضانه لفكرة الكتاب منذ البدأ في مساعدة " ديبون " و"كوبولاني " في كتابهما عن الطرق الصوفية، فقد كان مضطرا إلى الرجوع إلى المصادر العربية والإسلامية القديمة والحديثة لاستخراج التراجم والأخبار والمعارف العامة للجريدة والكتاب.

وقد جمع أبي القاسم في سبيل تأليف كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " العديد من المصادر التي أرخت لعلماء وأعلام سواء جزائريين أو من السودان الغربي والمغرب، وكان يستعين ببعض المعاصرين من موظفين سامين ومرابطين وعلماء ورجال دين (سعد الله، 2009، صفحة 580)، وفي هذا الصدد يذكر الحفناوي في بداية تعريف الكتاب بأنه استعان بالعديد من العلماء ورجال الدين في الترجمة لبعض الشخصيات العلمية والدينية التي وردت في الكتاب إذ يذكر:" وبعضهم تلقى طلبنا بالترحيب والتقريب ولم يشح علينا بما عنده وخصوصا وحيد عصره وعلامة مصره بقية السلف وبركة الخلف الرجل الصالح الأستاذ الناصح سيدي علي بن أحمد بن الحاج موسى قيم الروضة الثعالبية في مدينة الجزائر" (الحفناوي، 1906، صفحة 08).

كما أن السلطات الفرنسية سهلت عليه الاتصال بالمغرب الأقصى وخزائنه فحصل على الكثير من التراجم (سعد الله، 2007، ج7، صفحة 432)، وساعدته الإدارة الفرنسية بعد ذلك على نشر كتابه " تعريف الخلف "، وكان ذلك في عهد الحاكم العام " شارل جونار "، والذي نوه به الحفناوي في مقدمة الكتاب، حيث أورد أبياته الشهيرة والتي نقشت في مدخل المدرسة الثعالبية التي أسسها الحاكم " جونار"، كما ذكر الحفناوي أن " جونار ": " ... اهتم بمسلمي الجزائر وأحيا آثارهم وحاول أخذهم في طريق التقدم العصري لكي تجمع الجزائريين عصر الشرف القديم ويحد الغرب الجديد" (الحفناوي، 1906، ج1، صفحة 06).

رغم كل ما تملكه شخصية الحفناوي من ملاح النبوغ والتميز وبروز عطائه في ميادين عدة كالتعليم والصحافة والأدب، إلا أن كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " يعد مساهمة كبيرة في مجال التراجم من خلالها استطاع إبراز المساهمة الهامة لعلماء الجزائر ومثقفيها وبعض الاعلام في المغرب والسودان الغربي، ممن كانت مساهمات ثقافية في أوطانهم، وتجسد ذلك في التعريف ب " 419 شخصية "، في الكتاب عرف بها الحفناوي ومن خلال تصفحنا لكتابه رأينا أنه متأثر بثقافة

الطرق الصوفية وهذا ما يوحي فعلا إلى تردده كأبيه على الزوايا للقراءة والتعلم على غرار الزاوية الرحمانية، ويذكر الشيخ الجيلالي عبد الرحمن أيضا:" أن الحفناوي ألف كتابه عن طهارة كاملة إلى حد أنه كان يقلل جهده من شرب الماء حتى لا يضطر إلى النهوض عن العمل لإسباغ الوضوء" (الجيلالي، 1993، ج4، صفحة 327).

**أولا: قراءة في مضامين كتاب " تعريف الخلف برجال السلف "**

**أ-مضمون الجزء الأول:**

تناول الحفناوي بالترجمة من الصفحة 10 إلى الصفحة 201 تراجم العلماء دونت أسماؤهم في قباب المدرسة الثعالبية وكان عددهم " 50 " عالما، وهذا ما أورده الحفناوي في مقدمته (شتيرة، 2015، صفحة 254)، ومن محتويات المضمون أنه كان يذكر في معظم من ترجم لهم المصدر الذي أخذ منه تحت اسم المترجم له مباشرة مرفوقا بكلمة " من " أو " عن "، وفي معظم الأحيان يدعم ترجمته بمصادر أخرى يشير إليها في الترجمة بكلمة قال أو يقول.

كما أن الحفناوي فضل ذكر آثار الكثير من الأعلام الذين ترجم لهم مثل ( كراماته، قصائد شعرية منسوبة إليه أو قيلت في حقه أو ذكر مآثره وآثاره ).

وفي ترجمته لكل الأعلام الذين قام بترتيبهم " هجائيا " يختم عادة اسم الشهرة لديه بموطنه الأصلي أو مسقط رأسه بلقبه على شاكلة ( المشدلي أو الغرناطي أو التنسي أو المازوني أو التادلسي ) وأحيانا وأحيانا يلحق باسمه الأول مذهبه وكنيته التي اشتهر بها على شاكلة ( الثعالبي أو الوغليسي أو المنقلاتي أو الشاوي)، وفي مرات صحيحة ينسبه صراحة إلى مذهبه أو التيار الذي ينتمي إليه على نحو: " التوحيدي " ونجد هذه الطريقة في مضمون الجزء الثاني (ابن أبي شنب، 1964، صفحة 49).

ومن هنا يمكن القول أن الشيخ أبي القاسم الحفناوي قد استفاد فعلا من التراجم والمصادر التي تمكن منها من الأعيان والعلماء والأصدقاء الذين أعانوه بها، من الجزائر وخارج الجزائر وبالتالي وظفها لكي يلم بها إلماما شديدا بالإنتاج العلمي لكل علم من الأعلام الذين ذكروا في كتاب " تعريف الخلف برجال السلف ".

**ب- مضمون الجزء الثاني:**

ذكر الشيخ الحفناوي في القسم الثاني من الكتاب 369 ترجمة لأعلام من الجزائر وأضاف إليهم جملة من علماء الأقطار الأخرى سواء بالمولد أو النشأة أو بالإنتاج والعلاقات والتكوين كالمغرب والأندلس والسودان الغربي، والشيء الملاحظ في هذا القسم ليس كسابقه حيث أوغل في مسقط الرأس بعد ذكر الاسم الأول للمترجم له على غرار القسنطيني، التلمساني، التازي، البسكري، الجزائري، التنبكتي، الحرشاوي...

ومن المميزات الأخرى التي تكررت في هذا الجزء هو ذكر الأدعية المأثورة خصوصا منها التي تأثرت بالأوراد الصوفية في آخر كل ترجمة فمن الآيات مثلا:" ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" (النساء، ص 70)، ومن الأدعية المأثورة " رزقنا الله بركة أوليائه وجعلنا من خواص الأصفياء بفضله" (الحفناوي، 1906، ج2، صفحة 48) أصلحه الله وكان له ولذريته وليا ونصيرا أمينا، أمين، أمين، أمين، والحمد لله رب العالمين"، " توفي رحمه الله وطيب ثراه وأنالنا من الجنة بركته ورضاه" (الحفناوي، 1906، ج2، صفحة 56- 68).

**ج- المصادر التي اعتمد عليها الشيخ الحفناوي في كتابه:**

بذل الشيخ الحفناوي جهدا كبيرا في جمع مصادر التراث الجزائري والمغاربي والإقليمي بغية إعداد ترجمة موثقة خلدت آثار علماء الجزائر والمغرب والسودان الغربي في كاتبه، حيث رسم لنا صورة عن مختلف العصور التي عاشوا فيها وحركيتها العلمية والاقتصادية والسياسية، وأهم مصدر استعان به الحفناوي هو " نيل الابتهاج بتطريز الديباج " لأحمد بابا التنبكتي ( 1036هـ-1926م)، الذي يعد مرجعا هاما في التاريخ العام لشمال وغرب إفريقيا والأندلس ودراسة عميقة للحالة الفكرية والاجتماعية والسياسية للقرن العاشر والحادي عشر الهجري (التنبكتي، 1979، ص 8).

كما استعان أبي القاسم الحفناوي بمصدر هام يؤرخ لأعيان وأولياء تلمسان لصاحبه ابن مريم المديوني والذي ترجم فيه 182 عالما ووليا صالحا ولدوا بتلمسان وعاشوا فيها، وهو كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"

بالإضافة إلى كتاب " الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لصاحبه أبي العباس الغبريني والذي عاصر عام " 714هـ – 1512م " الذي يضم تراجم 140 من العلماء والمؤرخين والأدباء من مشاهير أعلام الجزائر وتونس والمغرب والأندلس (الغبريني، 1979، ص 8).

وعليه يمكن القول أن الحفناوي اعتمد في ترجمته لهؤلاء الأعلام الذين أرخ لتراثهم العلمي والثقافي والأدبي إلى أربعة أنواع من المصادر" الكتب المطبوعة والمخطوطة، المراسلات، الاتصالات الشخصية الخاصة، ورصيده المعرفي واجتهاداته".

**2-3 الاستشهادات التي وظفها الشيخ الحفناوي في كتابه:**

**أولا: القرآن الكريم:**

إن الشيخ أبي القاسم الحفناوي كان كثير الاستشهاد بآيات القرآن الكريم في كتابه " تعريف الخلف " والمتصفح للكتاب يجد الكتاب غص بالآيات القرآنية وهذا لم يكن اعتباطا بل منشأه إلى التكوين العقائدي والديني للشيخ الحفناوي، حيث بلغ مجموع الآيات المستشهد بها في الجزء الأول

" 11 آية " والجزء الثاني " 48 آية " وتوظيف الحفناوي لآيات القرآن الكريم في كتابه دلالة على قوة الحجة في صحة ما نقل من تراجم لهؤلاء الأعلام.

**ثانيا: الحديث النبوي الشريف:**

ولكي يشد الحفناوي عضاء القرآن الكريم في التحليل بالحجة على صحة قوله وظف مجموعة كبيرة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه " القسم الأول 10 أحاديث نبوية " والقسم الثاني " 22 حديث نبوي ".

**ثالثا: القصائد الشعرية:**

من خلال تصفحنا لكتاب " تعريف الخلف برجال السلف " تشعر وأن الكتاب عبارة عن ديوان شعر وذلك نظرا لاستشهاده بالكثير من القصائد لترجمة شخصيات علمية شحت عليها المعلومات، وكان أقل استشهادا ته الشعرية في الكتاب بيت أو بيتين وأكثرها بلغ " 258 بيتا شعريا " وهذا عندما ترجم " لمحمد ابن ميس التلمساني ".

ثم يليه ما ورد في ترجمة " محمد بن علي آبهلول المجاصي " بحوالي " 130بيتا شعريا "، ثم يليه ما ورد في ترجمة والده بن عروس ب " 120بيتا "، ثم يليه ما ورد في ترجمة سيدي الغزالي " 110 بيتا " وفي محصلة القسمين: القسم الأول 338 بيتا شعريا- القسم الثاني 2159 بيتا شعريا (بقطاش، 1977، صفحة 55).

**رابعا: توظيفه للحكم والأمثال والأقوال السائدة في عصره:**

إن إلمام الشيخ أبي القاسم الحفناوي باللغة العربية وآدابها والتراث العربي القديم والموروث الشعبي الأصيل، جعلته يبدع في توظيف الحكم والأمثال والأقوال، وأن يسردها على وجه الاعتبار منها لهذا نجد الشيخ الحفناوي حافظا لأقوال العلماء وآرائهم ومواقفهم وحتى نوادرهم وقصصهم وكراماتهم... وبالتالي جاء كتابه يعج بها حيث استند إليها في تقوية أحكامه وتعضيد آرائه وإقناع مخالفيه، وهو في ذلك يستند إلى قائلها حتى يعطي لها قوة الإقناع والبرهان (بقطاش، 1977، ص 56).

ومما سبق نجد أن الشيخ أبي القاسم الحفناوي قد استطاع من خلال كتابه هذا ان يؤكد الهوية الثقافية الجزائرية، إضافة إلى حرصه على تبيان التراث الثقافي الجزائري، ذو النزعة العلمية في فترات سابقة من خلال الترجمة لأعلام جزائريين، وقد تعدى عمله هذا الحدود بأن ترجم لعلماء السودان الغربي والمغرب قناعة منه أن العلوم وحركيتها لا حدود لها ولا وطن لها.

**4- الخاتمة:**

عرفت الجزائر تدهورا في الوضع الثقافي نتيجة السياسة الاستعمارية التي جعلت الجزائريين لا يفكرون لا في العلم ولا في التعليم، بالإضافة إلى هجرة الطلبة والعلماء خارج الجزائر، في حين

فضلت هذه الفئة البقاء وتحدت الظروف وأخذت على عاتقها الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائر، والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي الذي عمل على طمس هذه الهوية، إن النهضة الثقافية التي عرفتها الجزائر مع مطلع القرن العشرين ما هي إلا نتيجة جهود فئة النخبة التي ركزت على محور التعليم ومحاربة الجهل فهيأت بذلك الأرضية للنهضة الإصلاحية فيما بعد ومن خلال بحثي هذا خلصنا إلى مجموعة من النتائج منها:

-مثل أبو القاسم الحفناوي نموذجا للفئة المثقفة ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- لقد كانت البيئة المتعلمة المثقفة التي نشأ بها الحفناوي كان لها تأثير على شخصيته فنشأ محبا للعمل ساعيا لطلبه.
- يعد الحفناوي عصاميا في تكوينه الثقافي فقد تخرج من الزوايا والمساجد ورغم ذلك وجد طريقه إلى أعلى منصب ديني في الجزائر.
- يعتبر كتاب تعريف الخلف برجال السلف أهم عمل قام به الحفناوي وخدم به وطنه وخلد به ذكراه في الحركة الثقافية الجزائرية.
- كان الحفناوي متشبعا بالثقافة العربية الإسلامية لحد كبير، فرغم مخالطته للأوربيين وغيرهم كما درس العلوم الحديثة واللغات الحية إلا أن تأثير الثقافة الصوفية بقي هو الغالب في تفكيره.
- الحفناوي كان ذو ثقافة واسعة متعددة المشارب فهذا الرجل الذي عمّر 90 سنة كان شاعرا ومؤرخا وإماما ومفتيا وصحافيا ومدرسا فتبوأ المكانة الراقية في الوسط العلمي والديني.
- ساهم الحفناوي بإنتاجه الفكري ونشاطاته الثقافية المتعددة في الجمعيات والنوادي في النهضة الثقافية مع مطلع القرن العشرين وكان من أبرز وجوهها.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. الحفناوي أبو القاسم محمد، (1906)، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة فونتانة، الجزائر.
2. ابن أبي شنب سعد الدين، (1964)، النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن 14ه، مجلة كلية الآداب، العدد 1، الجزائر.
3. بقطاش خديجة (1977)، أبو القاسم الحفناوي وكتابه تعريف الخلف برجال السلف، مجلة الأصالة، العدد 51، الجزائر.
4. بن قينة عمر، (1977)، الديسي حياته وآثاره وأدبه، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
5. التنبكتي أحمد بابا (1979)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا.

6. الغبريني أبي العباس (1979)، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، لبنان.
7. نويهض عادل، (1983)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان.
8. الجيلالي عبد الرحمن، (1993)، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط6، دار الثقافة، بيروت.
9. سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
10. سعد الله أبو القاسم، (2007)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
11. نعيمة عبد المجيد، وبن معمر محمد والحمدي أحمد، (2007)، موسوعة أعلام الجزائر ( 1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
12. سعد الله أبو القاسم، (2009)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر، الجزائر.
13. شرقي عاشور، (2009)، معلمة الجزائر " تاريخ، ثقافة، أعلام ومعالم "، دار القصبة للنشر، الجزائر.
14. بن قينة عمر (2012)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث" أعلام- قضايا- مواقف "، كولوريوم، الجزائر.
15. الديس محمد بن عبد الرحمن الديس، (2013)، تحفة الأفاضل في نسب سيدي نايل، ط1، الجمعيية الثقافية للشيخ بن عبد الرحمن الديسي، الجزائر.
16. دبوز محمد علي، (2013)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر.
17. شتيرة خير الدين، (2015)، قراءة نقدية لكتاب أبو القاسم الحفناوي: "تعريف الخلف برجال السلف"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، الجزائر.